



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

نهج تركيا وأهدافها الجسيمة إزاء العراق

فرزاد رمضاني بونيش



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍّ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تهّمُ الحقلين السياسيين والأكاديميين.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

نهج تركيا وأهدافها الجسيمة إزاء العراق

فرزاد رمضان بونيش*

شهدت العلاقات العراقية التركية (بينهما 367 كيلومتراً من الحدود البرية المشتركة) - بعد استقلال العراق - تقلباتٍ بعضها كان جيداً وبعضها الآخر كان سيئاً، فضلاً عن تطورات مختلفة. لطالما كانت الخلافات والتعاون بين العراق وتركيا موجودة دائماً بعد الحرب العالمية الأولى. بُنيت السياسة الخارجية التركية في العالم العربي على عناصر رئيسة مثل التعاون والمشاركة واحترام السيادة والاستقلال وسلامة الأراضي¹.

فضلاً عن تعزيز التعاون الإقليمي والدولي عن طريق المشاريع الثنائية والمتعددة الأطراف؛ فإنَّ حل النزاعات بالطرائق السلمية، وتعزيز السلام الإقليمي والدولي والاستقرار والازدهار يُعدُّ من المبادئ التي تدل على سياسة تركيا الخارجية². تشمل بعض الأهداف الرئيسة: الحفاظ على مكانة تركيا وترسيخها، ووضع العلامات الجيوسياسية لتركيا في العلاقات الإقليمية، وإبراز دور تركيا بوصفها قوة إقليمية مستقلة، وإعادة إنشاء إقليم شبه إمبراطوري يؤثر على النطاق الإقليمي للإمبراطورية العثمانية، وما إلى ذلك.

تهذيب مكانة تركيا في شمال العراق والحسين العثماني

مع تخلي تركيا عن مطالبتها بالموصل في عام 1926 بعد توقيع معاهدة³، إلا أنَّ نفوذها المتزايد في الموصل وشمال العراق، عن طريق توسيع العلاقات مع التركمان العراقيين والعرب السنة وتوسيع قنصلياتها يُعدُّ أمراً بالغ الأهمية للكثيرين في تركيا. الموصل هي الأرض المقتطعة من الإمبراطورية العثمانية، كما أنَّه، من وجهة نظر تركيا، لم يتمكن التركمان من تحقيق حقوقهم السياسية والثقافية

1. https://www.mfa.gov.tr/i-turkey_s-security-perspective-historical-and-conceptual-background-turkey_s-contributions.en.mfa

2. https://www.mfa.gov.tr/i-turkey_s-security-perspective-historical-and-conceptual-background-turkey_s-contributions.en.mfa

3. <https://www.al-monitor.com/originals/2021/02/turkey-iran-iraq-sinjar-heats-up-turkish-iranian-rivalry.html>

والاجتماعية. تُعدُّ تركيا أنَّ التمثيل العادل لجميع الفئات في العراق⁴، ودور التركمان كثنائي أكبر مجموعة عرقية في إقليم كردستان، ومصير منطقة كركوك متعددة الأعراق⁵ أمراً بالغ الأهمية.

يبدو أنَّ تركيا غير راضية عن تغلغل نفوذ إيران في شمال العراق. من وجهة نظر عديد من الأشخاص في تركيا، هناك صلة أكثر بين (وحدات مقاومة سنجار) (YBS) وحزب العمال الكردستاني، والحشد الشعبي⁶ بقيادة الشيعة، أو ما يسمَّى بالحشد الشعبي (HSB)⁷ مع الاتحاد الوطني الكردستاني، وعلاقة إيران مع حزب العمال الكردستاني والحشد الشعبي وعلاقة الحزب الوطني الكردستاني مع الحشد الشعبي⁸ ضد مصالح تركيا.

المصالح الأمنية في شمال العراق وتنظيف حزب العمال الكردستاني

منذ انتهاء محادثات السلام في عام 2015، فقد ما لا يقل عن (490) مدني، و(1200) من أفراد قوات الأمن التركية و(2750) من مقاتلي حزب العمال الكردستاني حياتهم وفقاً لدراسة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية عام 2019. تجاوز إجمالي عدد القتلى في الصراع الذي دام أربعين عاماً (40000) قتيل⁹. يستمر الصراع التركي مع حزب العمال الكردستاني (PKK) -المعترف به منظمة إرهابية من جانب تركيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي¹⁰ - في جنوب شرق تركيا وشمال العراق. يُعدُّ وجود حزب العمال الكردستاني في العراق تهديداً للأمن القومي التركي، منذ السنوات الماضية، وتضعط أنقرة على العراق لتنفيذ عمليات منسقة لطرد حزب العمال الكردستاني (وحدات مقاومة سنجار (YBS) من سنجار، وحافظت على وجودها العسكري الدائم في

4. <https://orsam.org.tr/tr/mesrur-barzaninin-turkiye-ziyareti-ve-turkiye-ikby-iliskileri/>

5. <https://www.iemed.org/publication/the-role-of-turkey-in-the-middle-east/>

6. <https://www.al-monitor.com/tr/originals/2021/12/turkey-targets-pkk-linked-yazidis-inside-iraq>

7. <https://www.aa.com.tr/tr/dunya/abd-istihbarati-iran-destekli-gucler-turkiyeye-karsi-pkkyla-is-birligi-yapiyor/2580332>

8. <https://www.aa.com.tr/tr/dunya/abd-istihbarati-iran-destekli-gucler-turkiyeye-karsi-pkkyla-is-birligi-yapiyor/2580332>

9. <https://ahvalnews.com/peoples-democratic-party/turkeys-pro-kurdish-hdp-open-joint-presidential-candidate-says-co-chair>

10. <https://www.crisisgroup.org/content/turkeys-pkk-conflict-visual-explainer>

شمال العراق. تشكَّلت وحدات (YBS) بمساعدة حزب العمال الكردستاني¹¹ بعد أن اجتاحت تنظيم الدولة الإسلامية سنجار في آب 2014، وقتل الآلاف من الرجال الإيزيديين واختطف نساءهم وأطفالهم.

في الواقع، تابعت تركيا مشروع «المنطقة الآمنة» على طول الحدود العراقية بنائها لقواعد عسكرية، ونقط تفتيش، ونشر ما يقرب من (5000-10000) جندي¹² على الدوام، وعقد اتفاقيات غير رسمية مع إقليم كردستان، وتنفيذ عمليات عسكرية في شمال العراق¹³ حتى عمق (60-70) كيلومترا. من وجهة نظر تركيا، فإنَّ لتركيا الحق في التدخل في العراق تماشياً مع حقوق الدفاع عن النفس المستمدة من المادة (51) من ميثاق الأمم المتحدة¹⁴، وما زالت أحكام الاتفاقية بين الطرفين عام 1983 تُعدُّ مشروعة.

وتؤكِّد تركيا -من جهة- الحفاظ على وحدة أراضي العراق وسيادته، وتعارض انفصال الإقليم الكردي عن العراق. من جهة أخرى، تُعدُّ أنقرة وجود حزب العمال الكردستاني في شمال العراق تهديداً كبيراً على أمنها القومي. وقد لاحظت أنقرة فشل حكومة بغداد في منع هجمات حزب العمال الكردستاني ضد تركيا، لذا صرَّحت أنَّها لن تقبل وجود حزب العمال الكردستاني في العراق، وتتوقَّع من جميع دول الجوار دعم قتالها ضد هذا التنظيم¹⁵.

من وجهة نظر تركيا، إنَّ انتماء (YPG/PYD) إلى حزب العمال الكردستاني هو أمرٌ واضح للعيان¹⁶. ما تزال أنقرة والجماعة السورية التابعة لحزب العمال الكردستاني، ووحدات حماية الشعب (YPG) -في شمال سوريا- في مواجهة بعضهما لبعض.

11. <https://www.al-monitor.com/originals/2022/05/international-wing-yazidi-force-sinjar-says-its-not-fighting-turkey>

12. <https://www.swp-berlin.org/publikation/turkeys-military-operations-in-syria-and-iraq>

13. <https://tinyurl.com/258mmze5>

14. <https://www.amerikaninsesi.com/a/turk-savas-ucaklari-irak-ve-suriye-de-kurt-hedefleri-vurdu/6423240.html>

15. <https://www.al-monitor.com/originals/2021/09/what-erdogan-missed-skipping-baghdad-conference>

16. <https://www.mfa.gov.tr/pkk.en.mfa>

في الواقع، تبحث أنقرة عن عملية مشتركة لمكافحة الإرهاب مع العراق لتطهير حزب العمال الكردستاني¹⁷، ودعم القتال ضد الجماعات الإرهابية¹⁸، وتشجيع القادة الأكراد في شمال العراق على قتال حزب العمال الكردستاني، وإضعاف العلاقات بين قادة السليمانية والقوات الكردية السورية وحزب العمال الكردستاني. كما تحاول تركيا قطع علاقة قنديل مع أكراد سوريا وأكراد التركية، والسيطرة على الميليشيات الإيزيدية تحت قيادة حزب العمال الكردستاني، وفرض سيطرة أكبر على مخيمات مثل «محمور» وآلاف اللاجئين الأكراد، وممارسة مزيدٍ من الضغط المباشر وغير المباشر على اللاجئين الأكراد الأتراك في شمال العراق، وإضعاف القدرة على تغذية قوات حزب العمال الكردستاني ورعايتهم. في هذا الصدد، من المهم إخراج الجماعات المعادية لتركيا من سنجار وتطهيرها، إذ قال رئيس تركيا رجب طيب أردوغان: «لن نسمح لسنجار أن تصبح قنديل الثانية»¹⁹.

تريد تركيا جرّ الأحزاب الكردية إلى الحرب مع حزب العمال الكردستاني، فهي تخشى أن تؤدّي قوة حزب العمال الكردستاني الأكبر في سنجار، والأهمية المتزايدة لسنجار لحزب العمال الكردستاني، إلى تعزيز للعلاقات أكبر بين قنديل وشمال سوريا وتركيا. مع معارضة بغداد للوجود العسكري التركي، من وجهة نظر تركيا، فإنّ الحق في التدخل لإبعاد قادة حزب العمال الكردستاني الرئيسيين وتحميد القوافل الكبيرة ما يزال مشروعاً.

لا تريد تركيا التشكيك في شرعية عملياتها العسكرية ووجودها في العراق، أو أن ترفع ضدها شكوى إلى الأمم المتحدة، وتقليص علاقات تركيا مع الآخرين²⁰، وجر الحرب إلى الأراضي التركية، واستهداف الاقتصاد التركي.

17. <https://www.dailysabah.com/politics/war-on-terror/erdogan-turkey-may-launch-joint-anti-pkk-operation-with-iraq>

18. <https://www.aa.com.tr/en/middle-east/turkey-will-never-accept-pkks-presence-in-iraq/2349358>

19. <https://orsam.org.tr/tr/iraktaki-iran-destekli-sii-milisler-neden-turkiyeyi-hedef-aliyor/>

20. <https://orsam.org.tr/tr/iraktaki-iran-destekli-sii-milisler-neden-turkiyeyi-hedef-aliyor/>

كما تستغلُّ تركيا مناهج مثل المفاوضات مع أوروبا وأمريكا حول حزب العمال الكردستاني²¹، وتحاول تجيير العلاقات الودية التي تربط البرزاني مع تركيا²²؛ لحل أزمة النزوح الداخلي في تركيا الناجمة عن الصراعات. يمكن أن يساعد هذا النهج في تقليل أصوات حزب الشعب الديمقراطي (HDP) وزيادة تصويت الحزب الحاكم في الانتخابات المقبلة (2023). يعقد حزب الشعب الديمقراطي المؤيِّد للأكراد مؤتمره الخامس في أنقرة قبل انتخابات 2023 في تركيا.

مشكلة المياه والسياسة المائية

في حين أنَّ هناك تصوراً في تركيا بأنَّها لم تستغل موارد البلاد المائية بالكامل لصالح شعبها، فإنَّ قضية المياه هي واحدة من أبرز القضايا العالقة في العلاقات بين العراق وتركيا.

يعدُّ مشروع تركيا المائي المتكامل حيويّاً لاقتصادها وستشمل نتائجه ري (1.7) مليون هكتار من الأراضي، وإنتاج (27) مليار كيلوواط في الساعة من الكهرباء، ويوفر وفرص عمل لنحو (3.8) مليون شخص. نهر دجلة والفرات، اللذان يشكِّلان (98٪) من موارد العراق المائية ينبعان من تركيا، لكن خطط تركيا هي أحد العوامل الرئيسة للجفاف الذي يضرب العراق، وتقليل حصصه المائية في نهر دجلة والفرات. انخفضت احتياطات المياه في العراق بأكثر من (50٪)؛ لقلَّة هطول الأمطار ومستوى مياه نهر دجلة والفرات خلال العام الماضي²³، ومع ذلك، وحتى الآن، لم تمنح تركيا امتيازاً مهماً للعراق في مجال المياه.

التعاون الأمني وتصدير الأسلحة إلى العراق

زادت مبيعات المعدات الدفاعية والعسكرية التركية في السنوات الأخيرة. تأمل أنقرة، كما يبدو، في أن تضاعف مبيعات الأسلحة نطاق التعاون الجيوسياسي والدفاعي والأمني. تُعدُّ المعدَّات العسكرية التركية والأسعار المنخفضة للمنتجات الدفاعية التركية حوافز بالغة الأهمية لتحقيق هذا

21. <https://www.aydinlik.com.tr/koseyazisi/pkkda-telas-tsknin-hedefi-kapsamli-tasfiye-312284>

22. <https://nationalinterest.org/feature/where-are-turkey-iraqi-kurdish-relations-headed-195710>

23. <https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/iraqs-sandstorms-are-threatening-life-in-the-fertile-crescent-its-time-the-iraqi-government-takes-a-stance/>

التعاون. مع الترحيب السابق لبعض المسؤولين العراقيين بشراء طائرات تركية من طراز (Bay-raktar TB2) وطائرات هليكوبتر، وأسلحة متطورة²⁴، يبدو أن تركيا متأهلة في أن يؤدّي بيع الأسلحة إلى العراق إلى زيادة نطاق التعاون الجيوسياسي والدفاعي والأمني بين الجانبين. في هذا الصدد، تريد أنقرة تفعيل بعض الاتفاقات الاستخباراتية والأمنية والعسكرية المؤجلة أو المتوقّفة. بيد أن هناك أيضاً مخاوف بشأن عواقب خطط تركيا السياسية المائية وتأثيرها على نهري دجلة والفرات (الذين ينبعان من تركيا).

في سياسة المياه العابرة للحدود لتركيا، تريد الاستفادة من مياه الأنهار العابرة للحدود لصالح البلاد على نحو عادل وفعال ومعقول. لكن الاستفادة العادلة تعني أن الاستغلال المؤثّر والفعال للمياه وتقاسم المياه غير قابل للتطبيق؛ بدلاً من ذلك، يجب اتباع مبدأ تقاسم المنافع²⁵.

مزيد من واردات الطاقة من العراق

تنوي تركيا أن تكون مركزاً لتجارة الطاقة في المنطقة. في سياسة الطاقة التركية (مع²⁶ ما يقارب 75٪ من اعتمادها على الطاقة)²⁷، تولي تركيا اهتماماً لزيادة تعزيز موقعها الإستراتيجي بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، وخلق التنوع في الطرق والموارد، والاتفاقيات المنفصلة مع إقليم كردستان. كما أن موارد الطاقة الغنية في العراق يمكن أن تكون مصدر طاقة لتركيا للحصول على حق عبور الطاقة في مجال دبلوماسية الطاقة. من وجهة نظر كثيرين في تركيا، بعد الغزو الروسي لأوكرانيا، أدّى استثمار الغاز الطبيعي العراقي إلى خلق فرص للتعاون الثلاثي بين أنقرة وأربيل وبغداد²⁸، بل إن هناك خطة لاستبدال الغاز²⁹ الإيراني بالغاز العراقي.

24. <https://www.dailysabah.com/business/defense/iraq-mulls-buying-turkish-drones-helicopters-military-hardware>

25. <https://www.mfa.gov.tr/questions.en.mfa>

26. <https://enerji.gov.tr/bilgi-merkezi-petrol-boru-hatlari-en>

27. <https://enerji.gov.tr/homepage>

28. <https://orsam.org.tr/tr/mesrur-barzaninin-turkiye-ziyareti-ve-turkiye-ikby-iliskileri/>

29. <https://tinyurl.com/258mmze5>

زيادة الصادرات إلى العراق

وانخفضت التجارة بين العراق وتركيا بعد الخلافات السياسية ووجود تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، لكن خصّصت تركيا في شباط 2018 نحو (5) مليارات دولار للعراق في مؤتمر الكويت؛ لإعادة إعمار العراق.

ينهض مركز الوكالة التركية للتعاون الدولي والتنمية (TIKA) ومجلس العلاقات الاقتصادية الخارجية (DEIK) ومجالس التجارة المشتركة³⁰ بدور مهم في نهج تركيا الاقتصادي والتجاري متعدّد الأبعاد.

إنّ استخدام التجارة والاستثمار لتقليل التوترات أكثر فاعلية من الدبلوماسية وحدها. الانخفاض الحاد في قيمة الليرة التركية، والحاجة إلى السيولة وصفقات المبادلة المحتملة مع الدول الأجنبية، والتحوّل في النظرة الاقتصادية لتركيا من إيجابية إلى «سلبية» في تقييم بعض مؤسسات الائتمان³¹، وتجاوز وباء (فيروس كورونا)، كلّها أمور تُعدُّ دوافع لتركيا لتكثّف علاقتها مع العراق.

إنّ زيادة حجم التجارة بين العراق وتركيا أمر مهم لأنقرة. وبلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين (21) مليار دولار العام الماضي. أصبحت تركيا المصدر الثاني للتصدير إلى العراق بعد الصين³²؛ لذا فإنّ أنقرة حريصة على زيادة هذه الشراكة.

يُعدّ العراق بوصفه سوقاً كبيراً للغاية يبلغ عدد نسماته (40) مليون شخص، ومناسب للهندسة الفنية، فرصةً مهمة للشركات التركية. فضلاً عن ذلك، تدعم تركيا تطوير مشاريع النقل³³ الإقليمية مثل مشروع الطريق السريع الجديد بين إسطنبول والبصرة³⁴، والسكك الحديدية بما يتماشى مع موقعها الجغرافي بين القارات والمناطق. فضلاً عن فتح المعابر الحدودية. ركّزت أنقرة أيضاً على خط أنابيب نفط (كركوك-جيهان)، وفتح فروع البنوك التركية، ومضاعفة أعداد السياح العراقيين في تركيا.

30. <https://www.dailysabah.com/politics/diplomacy/turkey-africa-ties-to-progress-based-on-win-win-principle>

31. <https://www.bbc.com/persian/world-59619476>

32. <https://ina.iq/eng/15623-iraq-proposes-an-economic-bloc-includes-turkey-and-iran.html>

33. https://www.mfa.gov.tr/turkey_s-multilateral-transportation-policy.en.mfa

34. <https://www.rudaw.net/turkish/opinion/28112021>

توسُّع القوة الناعمة التركية

استمرت عجلة الدبلوماسية³⁵ الثقافية التركية بالمضي قدماً، كما برزت القضايا الفكرية والثقافية إلى الواجهة في سياق الدبلوماسية التركية. تحاول أنقرة تعزيز مكائنها وقوتها الناعمة عن طريق استغلال وجود طلاب من العراق³⁶ في تركيا، ومن المراكز الثقافية التركية ومجموعات اللغة والأدب التركي³⁷، ومراكز تعليم اللغة التركية، ومؤسسة يونس أمري.

معوّقات وآفاق نهج تركيا في العراق

ومع اجتماعات المسؤولين والآليات مثل «مجلس التعاون الإستراتيجي رفيع المستوى» بين البلدين، فإنَّ قضيتي المياه والأمن الرئيسيتين من أهم التحديات في تطوير العلاقات بين البلدين.

يبدو أنَّ المبعوث الخاص للرئيس التركي سيتوجّه إلى العراق³⁸، ومع الخطط التشغيلية حتى عام 2071 لإدارة المياه في تركيا³⁹، إلا أنَّ قضية المياه يمكن أن تكون مصدر توتر في العلاقات بين البلدين. في الواقع، المفاوضات لضمان حصة العراق من المياه صعبة وغير متكافئة.

تعدُّ الاختلافات مثل وجود نهج تركيا في شمال العراق مصدراً مهماً للأزمة، إذ يمكن أن يكون للفشل في حلها على المدى القصير والمتوسط تأثير سلبي على أبعاد التعاون.

كثير من الناس في شمال العراق يعدُّون تركيا مسؤولة عن تهجير سكان أكثر من (300) قرية⁴⁰، وانتهاك السيادة، ودعم الخلايا النائمة وفلول داعش، وانتهاك حقوق الإنسان، وتشريد أكثر من (300) قروي.

35. https://www.mfa.gov.tr/site_media/html/TKGM-Prestij-Kitab%C4%B1-R1.pdf

36. <https://www.aa.com.tr/en/economy/turkeys-influence-in-africa-on-the-rise/2399194>

37. <https://www.mfa.gov.tr/the-expatriate-turkish-citizens.en.mfa>

38. <https://news.am/eng/news/705918.html>

39. <https://www.dailysabah.com/turkey/turkeys-first-water-council-opens-amid-shortage-worries/news>

40. <https://almaalomah.me/2022/06/02/601186/>

مع أنَّ الحزب الديمقراطي الكردستاني أصبح معتمداً كثيراً على تركيا، فإنَّ الحساسيات المحلية وقوة القومية الكردية، وخطر ظهور حزب العمال الكردستاني كبطل للقومية الكردية سيكون أكثر تحدياً لتركيا.

كما أنَّ تنافر السلطتين التنفيذيتين لسياسة كردستان العراق (الحزب الديمقراطي الكردستاني، والاتحاد الوطني الكردستاني) هو عامل مهم. ومن ناحية أخرى، تُعدُّ السلطات العراقية باستمرار نهج تركيا العسكري «انتهاكات مستمرة يرتكبها الجيش التركي» واحتلال واضح وانتهاك السيادة العراقية.

يمكن أن يؤدي استمرار الخلاف في هذه المنطقة إلى شكوى رسمية من تركيا إلى مجلس الأمن الدولي، وإنهاء العلاقات مع تركيا⁴¹، وتدويل الأزمة، وإعادة ترسيم الحدود مع العراق⁴²، والانسحاب من معاهدة لوزان⁴³ 1923، كما أنَّ نفوذ إيران ونهج الجماعات الموالية لإيران في العراق تجاه تركيا يجعل عمل تركيا صعباً في العراق⁴⁴.

والواضح أنَّ سلوك تركيا وأهدافها في العراق تأتي من عوامل ومتغيرات متنوعة. في الواقع، لا تريد تركيا أن تتضرر المجالات التجارية والاقتصادية من التفاعلات الأمنية والجيوسياسية بين البلدين. ومع ذلك، فإنَّ النجاح الأكبر لنهج حزب العدالة والتنمية في العلاقات مع العراق يمكن أن ينهض بدور مهم في خفض أصوات حزب الشعب الديمقراطي (HDP) وزيادة حصة حزب العدالة والتنمية في انتخابات العام المقبل في تركيا.

41. <https://www.independentarabia.com/node/336911>

42. <https://tinyurl.com/26m2akzg>

43. <https://tinyurl.com/24g8n3v9>

44. <https://orsam.org.tr/tr/mesrur-barzaninin-turkiye-ziyareti-ve-turkiye-ikby-iliskileri/>